واصلاح فهو الكل وليس الجزء أي الطبقة المسيطرة سياسيا « سلاح الوعي أمضى ما تحتاجه هذه الامة العربية من أسلحة ... فبالوعي نستطيع جميعا أن ... »(٦).

« فالوعي » كما نرى هنا ينقص الجميع ، من يحكم ومن لا يحكم ، وهذا لا يعني فقط تبرير السقوط بل اسقاط الهزيمة على الوعي الجمعي المتخلف ، وفي كلتا الحالتين يخرج المهزوم نظيفا وبريئا .

من خلال قراءتنا للفكر الغيبي الذي يعمر الصحافة العربية نلاحظ امرا آخر هو المفهوم الصوفي للأمة العربية ، فهي تقدم كوحدة روحية سرمدية ، وكجوهر لانهائي لا يقبل القسمة ، وككل متجانس متناغم لا مكان فيه للصراع او التناقض ، اي أن هناك مفهوما توحيديا للامة العربية فهي لا تخضع للصراع الطبقي ولا لقانون صراع الطبقات ، وعلى الرغم من النزعة الاخلاقية ظاهريا لهذه الرؤيا فان دلالتها السياسية خطيرة ، فهذه الرؤيا تنزع الطابع الطبقي للانظمة المهزومة وتجعل البديل عنها مستحيلا او لا ضرورة له ، ذلك أن سبب الهزيمة لا يعود الى بنيان سياسي محدد بل الى طبيعة الامة العربية « المعركة الاخيرة كشفت عن وجود ثغرات كبيرة في سلوك الامة العربية على جميع المستويات ... ، وما حدث لنا في حزيران الماضي كان نتيجة حتمية لنوعية السلوك العربي »(٧).

ان هذا التحليل يسقط ازمة الانظمة على الشعوب العربية ، وبالتالي فهو على مستوى التضليل يقوم بدوره بوضوح ودقة ، أما عندما يضطر الى تفسير أسباب الهزيمة يختبىء وراء لفظية ميتافيزيقية « سلوك الامة العربية » ، وهذا السلوك يحتاج الى تصحيح وليس الى هدم واعادة بناء . معنى هذا ان رؤية الهزيمة وتحليل اسبابها يتم من وجهة نظر الطبقة المسيطرة ، اي المهزومة ، وبالتالي فان هذا التحليل **طبقي** حتى الصميم في جوهره على الرغم من لاطبقية الظاهرة ، انه يلجأ الى المفهوم اللاطبقي ليخفي طبقيته ، لذلك فهو يجتر باستمرار مقولات ميتافيزيقية جامدة مثل « العقل العربي ، الممارسة العربية ، الامة العربية ، الوعي العربي » علما بأن هذا التجانس الموهوم لا وجود له الا في مخيلة ايدولوجيي الطبقة الحاكمة والمهزومة(٨).

يصل الفكر الغيبي الى أعلى درجاته عندما يعطي الهزيمة طابع المعطى الالهي الذي لا يسهل سبر غوره بسهولة ، عندئذ تصبح الهزيمة نعمة يستحق مسببها التكريم لانها جسر الى عالم جديد « ان ما يراه الناس منحة البسها الله ثوب المحنة ، فهي في ظاهرها محنة ولكنها في الحقيقة منحة »(٩). فلا ينبغي اذن لا البحث عن أسباب الهزيمة ولا كيفية تجاوزها لانها معطى قدسيا يجب قبوله بسرور ، يصل هنا الفكر البدائي المتخلف الى أقصى درجاته فهو ليس فقط مضللا ومبررا بل مقاتلا ضد المعرفة والحركة .

مأساة الفكر المتخلف

حاولت بعض الصحف أن تخفي سبب الهزيمة الحقيقي الكامن في التركيب البنيوي للأنظمة معطية بذلك ضك غفران لهذه الانظمة ، الا أن صحفا اخرى جاءت أيضا لتبرير الهزيمة ، لكن منطق تبريرها المتخلف أظهر السبب الحقيقي للهزيمة ، حيث أظهرت بشكل صارخ اللاتماثل القائم بين الفكر المسيطر وطبيعة العصر ، فالفكر هذا ليس مغتربا عن العصر بل غريبا عن العصر ، انه لا يزال يهيم في عالم الفروسية البائد ، ويضيع في أركان « كلية » متخلفة ، فهو متخلف عن فهم قدراته الذاتية ، وعن فهم قدرات عدوه ، ويقمع كل فكر يحارب التخلف . وتحل اللاعقلانية هنا مكان العقلانية ،